﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾ [البقرة: 175]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

على قَدْرِ فَظاعَةِ الـجُـرْمِ، تَكُـونُ شِدَّةُ العَذابِ

"لَمَّا وصَفَ عُلَمَاءَ اليَهُودِ بِكِتْمَانِ الحَقِّ، وعَظَّمَ في الوَعِيدِ عَلَيْهِ؛ وصَفَ ذَلِكَ الجُرْمَ لِيُعْلِمَ أَنَّ ذَلِكَ العِقَابَ إنّما عَظُمَ لِهَذا الجُرْمِ العَظِيمِ"[1]؛ فقال: "أُولئِكَ الّذينَ تَقَدّمَ الحديثُ عنْهمْ -وهُمُ الكاتِمونَ لما أَنْزَلَ اللّهُ- قَدْ بَلَغَ بِهِمُ الغَباءُ وانْطِماسُ البَصيرَةِ، أَنّهمْ باعوا الهُدى والإيمانَ، ليأخُذُوا في مقابِلِهما الكُفرَ والضَّلالَ، وباعوا ما يُوصِلُهم إلى مَغْفِرةِ اللّه ورحمَتِهِ، ليأخُذوا في مُقابِلِ ذَلكَ عَذابَهُ ونِقْمَتَهُ، فما أَخْسَرَها مِن صَفْقَةٍ، وما أَغْبى هؤُلاءِ الكاتِمينَ الّذينَ فَعلوا ذَلِكَ نَظيرَ عَرَضٍ مِنْ أَعْراضِ الدُّنْيا الفانِيَةِ، فخَسِروا بِما فَعلوهُ دُنْياهُمْ وآخِرَتَهُمْ"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

الاشتراء الشّراء والبيع، وهو من الأضداد

1) ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾: مِنَ الجَذْرِ (شرى)، وقولُهُ تَعالى: (اشْتَرَوُا)، أَصْلُهُ: اشْتَرَيُوا، فاسْتُثْقِلَتِ الضَّمَّةُ عَلى الياءِ فحُذِفَتْ، فالْتَقَى ساكِنانِ؛ الياءُ والواوُ، فحُذِفَتِ الياءُ، وحُرِّكَتِ الواوُ بِحَرَكَتِها، لَمّا اسْتَقْبَلَها ساكِنٌ، ويُجْمَعُ الشِّرا على أَشْرِيَةٍ، وهوَ شاذٌّ، لأنّ فِعَلًا لا يُجْمَعُ على أَفْعِلَةٍ[3]، قَالَ الْفَرّاءُ: "وللعَرَبِ في (شَرَوْا) و(اشْتَرَوْا) مَذْهَبانِ: فالأَكْثَرُ مِنْهُمَا: أَنَّ (شَرَوْا): بَاعُوا، و(اشْتَرَوْا): ابْتاعُوا؛ وربّمَا جَعَلوهُما بِمَعْنى: بَاعوا"[4]، و(اشْتَرَوْا) بمعنى: اسْتَبْدَلوا، وأصْل هَذا أَنَّ مَنِ

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 5/206.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 1/357.
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (شرى).
(4) الأزهري، تهذيب اللّغة: (شرى).

اشْتَرَى شيْئًا بِشَيءٍ، فَقَدِ اسْتَبْدَل مِنْهُ، واشْتِقاقُ الاشْتِراءِ مِنَ الشَّرْوَى وهُوَ المِثْلُ؛ لِأنَّ المُشْتَرِيَ يُعْطِي شَيْئًا ويَأْخُذُ شَيْئًا.

2) ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ﴾: مِنَ الجَذْرِ (صبر)، أيُّ شَيْءٍ صَبَّرَهُمْ عليْهَا ودَعاهُمْ إليْهَا؟! ويقال: مَا أَصْبَرَهُمْ على النَّار: مَا أجْرَأهم عليْهَا! أَصْبَرَهُمْ وصَبَّرهُم بِمعْنًى[1]، وفي (تاج العروس): "الصَّبْر: الجَراءَةُ، ومِنْه قَوْله تَعالَى: (فمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النّارِ)، أَيْ: مَا أَجْرَأَهُمْ على أَعمالِ أَهلِ النّارِ! أَو مَا أَعْمَلَهُم بعَمَلِ أَهلِهَا!"[2].

من الجرأة المتوهّمة، الاستهانة بعذاب الآخرة

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

يُخْبِر اللَّه تعالى أنَّ أُولئك المتَّصفين بِكتْمَان العِلْم الّذي يَحْتاجُ إلَيه النَّاسُ، هُم الّذين اسْتَبْدلوا الضَّلالةَ بالهدى؛ لَمَّا كَتمُوا العِلمَ الحَقَّ، واسْتَبْدلُوا عَذابَ اللَّه بِمغْفرَتِه، فما أَصْبرَهُمْ على فِعْلِ مَا يُسبِّبُ لَهُم دُخُولَ النَّارِ! كأنَّهُم لا يُبالون بِمَا فِيهَا مِن عَذابٍ، لِصَبْرِهِم عليْهَا، فمَا أشدَّ جراءَتَهُم على النَّارِ! بِعَمَلِهِمْ أَعمَال أَهْلِ النَّار، يَعْجَبُ اللَّه من إقدامهم على موجباتِ النَّارِ، مِن غَيرِ مُبالَاة منهم، فاعجَبوا - أيها الناس- من جراءتهم، ومن صبرهم على النار ومكثهم فيها.

وهذا على وجه الاستهانة، بهم والاستخفافِ بأمرهم[3].

الاستخفافُ بالعصيانِ، وتَحْريفُ هُدى الرَّحمَنِ، جُرْأَةٌ وهَلاكٌ، هُنا وهُناك

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بيانُ الإشارةِ باسْمِ الإشارَةِ، في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾:

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: "اسْمُ إشَارَةٍ إلى الكَاتِمِينَ الّذينَ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ وذِكْرُ مَا أُوعِدُوا بِهِ"[4]، "وإنّ أُولئك الّذين كَتمُوا الحَقَّ الّذي أَنزَله تعالى، لِغَرضٍ أو لِمَالٍ أو لِجَاهٍ، أو لِرشْوةٍ وسُحْتٍ، أو لِمَنْصبٍ يُريدونه

المُشْتَرُونَ الضَّلالَةَ بِالهُدى، هُمُ المُتَّصِفُون بِكتْمَانِ الحَقِّ وقْتَ الحاجةِ إلى بَيانِهِ

(1) ابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 101.
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: 12/282.
(3) جماعة من علماء التّفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 26، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 26، والبيضاوي، أنوار التّنزيل: 1/120.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/123.

أو يَرجُونه، هؤلاء تَركُوا الهدايةَ وطلبوا الضَّلالةَ؛ ولذا قال تعالى مُشيرًا إليهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾، الإشارةُ في الأُولى إشارَةٌ للّذينَ اتَّصَفوا بكتْمَانِ الحَقِّ وقْتَ الحاجةِ إلى بَيانِه، وأنَّ ذَلك الوصْف هُو سببُ الحُكم الذِّي تَقرَّر عَليهم، وهُو أَنَّهُمُ اشْترَوُا الضَّلالةَ بالهُدى، أيْ تركُوا الحقَّ، وهو المبيعُ الثَّمين؛ لأنَّه هُدى اللّهِ تعالى"[1].

نكتةُ تَكرارِ اسمِ الإشارَةِ في قولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ و﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ﴾:

نُكتةُ تَكرارِ الإشارةِ "التَّنْبيه عَلَى أَنَّ المُشَارَ إِلَيْهِ جَدِيرٌ بِأَحْكَام أُخْرَى غَيْرِ الحُكْم السَّابِقِ، وأَنَّ تِلْكَ الأَحْكَامَ لِأَهَمِّيَّتِهَا يَنْبَغِي أَلَّا تُجْعَلَ مَعْطُوفَةً تَابِعَةً لِلْحُكْمِ الأَوَّلِ، بَلْ تُفْرَدُ بِالحُكْمِيَّة"[2]، أو "لِتَفْظِيعِ حَالِهِمْ لِأَنَّهُ يُشِيرُ لَهُمْ بِوَصْفِهِمُ السَّابِقِ؛ وهُوَ كِتْمَانُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الكِتَابِ"[3].

استـقـلالُ كـلِّ حـكـمٍ تفظيعًا لحالِ الكاتمين

التَّعْبيرُ بالمَوْصولِ في قولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾:

عبَّر بالاسم الموصولِ في قولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ ولم يقل: "(أولئك اشْتَرَوُا الضَّلالةَ بالهُدَى)، كما قِيلَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: 159]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: 22]، فهل هُوَ لِلحصْر؟ فَأَجابَ ابْنُ عَرفَة: بِأَنَّه "لَيْس لِلحصْرِ، بل لِلتَّحْقيق، أيْ: فَهُم جديرون وحقيقُون بِأَنْ يُقَال فِيهم هَذِه المقالةُ، وهِي أحقُّ مِن غَيرِهم"[4].

غايَةُ الخُسرانِ المُبينِ؛ استِبدالُ الزَّهيدِ بالثَّمينِ

فائِدةُ التَّعْبيرِ بالاِشْتِراءِ في قولِه: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾:

في لَفْظِ ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ "إِشْعَارٌ بِإِيثَارِهِمُ الضَّلَالَةَ والعَذابَ، لِأَنَّ الإِنْسَانَ لا يَشْتَرِي إِلَّا مَا كان لَهُ فِيهِ رَغْبَةٌ ومَوَدَّةٌ، واخْتِيَارٌ، وذَلِكَ

إيثارُ الضَّلالَةِ على الهُدَى، مُنْتَهى الخَسارَةِ وقِصَرِ النَّظَرِ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/515، والقِنَّوجي، فتح البيان: 1/346.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/124-125.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/125.
(4) تفسير ابن عرفة: 2/510-511.

يَدُلُّ على نِهَايَةِ الخَسَارَةِ، وعَدَمِ النَّظَرِ في العَوَاقِبِ"[1]، "لَمَّا تركُوا الهُدى وأعْرضوا عَنْه، ولازموا الضَّلالة وتكسّبوهَا، مع أنَّ الهُدى مُمْكِنٌ لَهُم مُيسَّرٌ، كان ذَلِك كبيْعٍ وشِراء"[2]، "وإنّمَا حَكَمَ تعالى عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمُ اشْتَرَوُا العَذابَ بِالمَغْفِرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا عَالِمِينَ بِمَا هُوَ الحَقُّ، وكَانُوا عَالِمِينَ بِأَنَّ في إِظْهَارِهِ وإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ عَنْهُ أَعْظَمَ الثّوابِ، وفي إخفائِهِ وإلقائِهِ الشُّبْهَةَ فِيهِ أَعْظَمَ العِقَابِ، فَلَمَّا أَقْدَمُوا على إِخْفَاءِ ذَلِكَ الحَقِّ، كَانُوا بَائِعِينَ لِلْمَغْفِرَةِ بِالعَذابِ لا مَحَالَةَ"[3].

براعةُ الاسْتِعارَةِ التَّصْرِيحِيَّةِ في قوله: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾:

جَمالُ التَّصْرِيحِيَّةِ في تَقْرِيبِ المَعْنى وإيضاحِ الصُّورَةِ

معنى قوله: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾، "أيْ: اسْتَبدَلُوا الكُفْرَ بالإيمانِ"[4]، و"في الآية اسْتِعارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ بَدِيعَةٌ؛ فقَدِ اسْتَعارَ الشِّراءَ لِلاسْتِبدالِ، أيْ: اسْتَبدَلوا الضَّلالَةَ بالهُدى، وأخَذوا الكُفْرَ بَدَلَ الإيمانِ، والعَذابَ بَدَلَ المَغْفِرَةِ، وهذا النَّوْعُ مِن ألْطَفِ أنْواعِ الاسْتِعارةِ وأبْدَعِهَا؛ لِأنَّ البيْعَ والشِّراءَ يَكونُ في التِّجارَةِ، فكَأنَّهُمْ بِمنْزِلة مَن يَشْتَرِي سِلْعَةً فَاسِدةً بِمبْلَغٍ كبيرٍ مِنَ المالِ، ثُمَّ تَظْهَرُ خَسَارَتُهُ الفادِحَةُ"[5].

"﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ﴾ بالنِّسْبَةِ إلى الدُّنْيَا، ﴿ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ الّتي لَيسَتْ ممَّا يُمْكِن أن يُشتَرَى قطْعًا ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ الذي لَيْس من قَبيل مَا يُبذَل بمقابلةِ شَيْءٍ وإنْ جَلَّ، و﴿وَٱلْعَذَابَ﴾، أي اشْتَرَوْا -بالنَّظَرِ إلى الآخِرةِ- العذابَ الّذي لا يُتَوهَّم كَونُه ممَّا يُشتَرَى ﴿بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ الّتي يَتَنافَس فيهَا المتنافِسونَ، وهذا من قَبيل الاسْتعارةِ التَّصْرِيحيَّة"[6]، قال أبو إسحاقَ: ليس هنا شِرَاءٌ وبَيْعٌ، ولكن رَغْبَتُهُم فيه بتَمَسُّكِهِم بِهِ، كَرَغْبَةِ المُشْتَري بمالِهِ ما يَرْغَبُ فيه، والعربُ تقول لكُلِّ من تَرَكَ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/124.
(2) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 1/242.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 5/206.
(4) العليميّ، فتح الرّحمن في تفسير القرآن: 1/244.
(5) محمد علي جميل، الإبداع البيانّي في القرآن العظيم، ص: 34- 35، وصفوة التّفاسير: 1/103.
(6) محمود عبد الرّحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن: 2/349.

شيئًا وتَمَسَّكَ بِغَيرِه: فقد اشْتراهُ وشاراهُ مُشاراةً وشِرَاءً، بايَعَه وقيلَ: شاراهُ: مِنَ الشِّراءِ والبَيْعِ جَميعًا[1].

سِرُّ التَّعبير بِالعذابِ في قوله: ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾:

بـيـانُ أهـمـيّـة الأسبابِ الموصلةِ إلى مُسبِّباتها

جاءَ التَّعبيرُ في قولِه: ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ "والظَّاهرُ أَنَّه أَرَاد سَبَبَه، والطَّريقَ المُوصِلَ إِليه، إشارةً إلى أَنَّه مُوصِلٌ إِليه لا مَحالَة"[2]، "والمغْفرةُ هِي الثَّوَابُ والنَّعيمُ المُقيمُ، الّذي أَعدَّه اللَّه تعالى لِلْمهْتدين، وعبَّر عن الثَّوَاب بِالمغْفرة، لِأَنَّ المغْفرةَ دليلُ الرِّضَا أَوَّلًا، وللْإشارة إِلى أَنَّ مَنْ يَعمَلُ صالحًا يَغفِرُ اللَّه لَهُ مَا عَسَاهُ يكونُ مِنْ سَيِّئاتٍ؛ لِأَنَّ الحسناتِ يُذْهبْنَ السَّيِّئاتِ ثانيًا، ولأَنَّ مَنْ يَنَالُ غُفْرانَ اللَّه تعالى مِنَ المقرَّبينَ"[3].

دلالةُ المُقابَلَةِ في قَوْلِهِ: ﴿ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾:

بـيـانُ ضـيـاعِ الـهـدى بـالـضَّـلالـةِ، ووقـوعِ العذابِ بدلَ المغفرة

قابلتِ الآيَةُ بَيْنَ الضَّلالَةِ والهُدى، وبَيْنَ العَذابِ والمَغْفِرَةِ؛ لِإيضاحِ مَلْمَحِ الاخْتِيارِ بَينَ البَدائِلِ المُتَناقِضَةِ، وتَرْسِيَةِ الاخْتِيارِ عَلى ما يَتَلاءَمُ مَعَ طَبيعَةِ المُخْتارِ، مِنْ كَوْنِهِ يَخْتارُ الضَّلالَةَ والعَذابَ، أَوْ يُؤْثِرُ الهُدى والمَغْفِرَةَ، قال ابْنُ عاشور: "ومَعْنَى اشْتِراءِ الضَّلالَةِ بِالهُدَى في كِتْمانِ الكِتابِ: أَنّ كُلَّ آيَةٍ أَخْفَوْها أَوْ أَفْسَدوها بِالتّأْويلِ، فقَدِ ارْتَفَعَ مَدْلولُها المَقصُودُ مِنْها، وإذا ارْتَفَعَ مَدْلولُها نُسِيَ العَمَلُ بِها، فأَقْدَمَ النّاسُ عَلى ما حَذّرَتْهُمْ مِنْهُ، ففي كِتْمانِهِمْ حقٌّ رُفِعَ، وباطِلٌ وُضِعَ، ومَعْنى اشْتِراءِ العَذابِ بِالمَغْفِرَةِ: أَنَّهُمْ فَعلوا ذَلِكَ الكِتْمانَ عَنْ عَمْدٍ، وعِلْمٍ بِسوءِ عاقِبَتِهِ، فهُمْ قَدْ رَضُوا بِالعَذابِ، وإضاعَةِ المَغْفِرَةِ، فكَأَنَّهُمُ اسْتَبْدَلوا بِالمَغْفِرَةِ العَذابَ"[4].

(1) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: 8/100.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/515.
(3) المصدر السّابق: 1/515.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/125.

دَلالَةُ الباء مع فِعْلِ التَّبْديلِ والاشْتِراءِ، وأنّ مَا دَخلَتْ عَلَيْهِ الباءُ هُوَ المتْروكُ:

قال ابن عطيَّة: "ولَمَّا كان العَذابُ تابعًا للضَّلالَةِ الّتي اشْتَرَوْها، وكانَتِ المَغْفِرَةُ تابعةً لِلهُدى الّذي اطَّرَحوهُ، أُدْخِلا في تجوُّزِ الشِّراء"[1]، وقد استدرك عليه ابنُ عرفةَ فقال: "إنّ قَوْلَه ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾، راجِعٌ لِتَصَوُّرِ حالَتِهِمْ في الدُّنيا، قَولُهُ تعالى: ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾، راجِعٌ لِتَصُوُّرِ حالِهِم في الآخِرَةِ، وهذا أَوْلى مِمَّا قال ابنُ عَطِيّةَ"[2]، عِلمًا بِأنّ "الباءَ دَاخِلَةٌ على المَتْروكِ، أيْ: فَقَد تَركُوا الهُدى وأَخَذوا الضَّلالَة بَدَلَهُ"[3]، "والمتْرُوكُ مَا دَخلَتْ عَليْه الباءُ"[4].

وُجوهُ (مَا) ودَلالَتُها في تَنَوُّعِ المَعْنى وبَلاغَتِهِ في قولِه: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾:

ذكرَ السّمينُ الحلبيُّ نحوًا من خمسةِ وُجُوهٍ لـ (ما)، أحَدُها: أنَّها نَكِرةٌ تامّةٌ للتَّعَجُّب، فإذا قُلتَ: ما أحسنَ زيدًا! فمعْناهُ: شَيْءٌ صَيَّر زيدًا حسنًا، والثّاني: استِفهامِيّةٌ صَحِبَها مَعْنى التَّعَجُّب، نَحو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: 28]، والثَّالِثُ: مَوْصولَةٌ، والرابعُ: نَكِرَةٌ مَوْصُوفَةٌ، وهيَ على الأقوالِ الأربعةِ في محلِّ رفعٍ بالابتِداءِ، والخامسُ: أنَّها نافِيَةٌ، أي: (فما أصبرَهم اللّهُ على النّار)[5].

معنى التَّوبيخِ:

قال الرّازيّ: "(مَا) في هَذِهِ الآيَةِ اسْتِفْهَامُ التَّوْبِيخِ، مَعْنَاهُ: مَا الذي أَصْبَرَهُمْ وأَيُّ شَيْءٍ صَبَّرَهُمْ على النَّارِ، حَتَّى تَرَكُوا الحَقَّ واتَّبَعُوا البَاطِلَ؟! وهَذا قَوْلُ عَطَاءٍ وابْنِ زَيْدٍ، وقال ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: وقَدْ يكون أَصْبَرَ بِمَعْنَى صَبَّرَ، وكَثِيرًا مَا يكون أَفْعَل بِمَعْنَى فَعَّلَ، نَحْوُ أَكْرَمَ وكَرَّمَ، وأَخْبَرَ وخَبَّرَ".

فتقديرُ معنى التَّوبيخِ في قَوْلِه: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، "أَيُّ شَيْءٍ أَصْبَرَهُمْ على النَّارِ! أَيْ: دعاهُمْ إِلَيْهَا واضْطَرَّهم إِلَيْهَا"[6]، أو "تَقريرٌ واسْتِفْهامٌ، مِنْ قَولِكَ: مَصْبُورٌ، أَيْ مَحبُوسٌ، أَيْ: مَا أشدَّ حَبْسَهُمْ في النَّارِ! أو مَا أَحبَسَهُم في النَّارِ! قال ابْن عَرفَة: وهذا

(1) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 1/242.
(2) تفسير ابن عرفة: 2/511.
(3) حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين، ص: 74.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 1/246-247.
(5) السّمين، الدُّرُّ المصون: 2/243 - 244.
(6) المبّرد، المقتضب: 4/183.

أَصوَبُ؛ لِأَنَّ الأَوَّلَ يَقتَضِي أَنَّ لَهُمُ اخْتِيارًا وجَلادَةً على الصَّبْر عَلى النَّار، وهذا مَدْحٌ لَهُم بِالقُوَّة والجَلادَة"[1].

معنى التَّعجُّب:

تقريرُ مَعْنَى التَّعَجُّب: "أَنَّ الرَّاضِيَ بِمُوجِبِ الشَّيْءِ، لا بُدَّ وأَنْ يكون رَاضِيًا بِمَعْلُولِهِ ولَازِمِهِ، إِذا عَلِمَ ذَلِكَ اللُّزُومَ، فَلَمَّا أَقْدَمُوا على مَا يُوجِبُ النَّارَ، ويَقْتَضِي عَذابَ اللَّهِ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِذَلِكَ، صَارُوا كَالرَّاضِينَ بِعَذابِ اللَّهِ تعالى، والصَّابِرِينَ عَلَيْهِ، فَلِهَذا قال تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، وهُوَ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ يَتَعَرَّضُ لِمَا يُوجِبُ غَضَبَ السُّلْطَانِ: مَا أَصْبَرَكَ على القَيْدِ والسِّجْنِ! إِذا عَرَفْتَ هَذا، ظَهَرَ أَنَّهُ يَجِبُ حَمْلُ قَوْلِهِ: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، على حَالِهِمْ في الدُّنْيَا، لِأَنَّ ذَلِكَ وصْفٌ لَهُمْ في حَالِ التَّكْلِيفِ، وفي حَالِ اشْتِرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ بِالهُدَى"[2].

وهذا مذهبُ جُمْهُورِ المفسِّرين أنَّ: (مَا) تَعجُّبٌ، "وَهُو في حَيِّز المُخاطَبينَ، أيْ: هُم أَهْلٌ أنْ تَعْجَبوا مِنْهُم، وممَّا يَطُولُ مُكْثُهُمْ في النَّار، أَظهَر التَّعَجُّبَ مِنْ صَبْرِهِم على النَّار، لَمّا عَمِلُوا عَمَلَ مَنْ وطَّنَ نَفسَهُ عليْهَا، وتقْديرُهُ: مَا أجْرأَهُمْ على النَّار؛ إذ يعْملون عَملًا يُؤَدّي إِليْهَا"[3]!

معنى التَّهكُّم:

هُناكَ مَنْ أوَّلَ (مَا) عَلى أنّها في سِيَاقِ الاسْتِهزاءِ والتّهَكُّم، قال مُحمّد أبو زُهْرَة: "وَهُو من قَبِيلِ التَّهَكُّم، كمَا يَقُولُ القائلونَ لِمَن يَرتَكِبُ أَسبَابَ العُقوبةِ، مِن حَدٍّ أو تَعزِيرٍ: مَا أَصْبرك على السِّيَاطِ تَكوِي ظَهْرَكَ كَيًّا!"[4] ومُؤَدَّى هذا المعنى قريبٌ من معنى التَّعجُّب.

(1) تفسير ابن عرفة: 2/513.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 5/206.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/242.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/515.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»